

الألوان في معجم العربية*

الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس الجمع

عنيت العربية عناية فائقة بالألوان وذلك على السنة شعرائها وخطبائها فيما وصل إلينا من رواة أخبارها في العصر الجاهلي . واشتدّت هذه العناية في عصور ازدهار الحضارة العربية الاسلاميّة في المشرق والمغرب والأندلس ، حتى بات موضوع الألوان من الموضوعات التي تفرد لها أبواب خاصّة في مصنفات اللغويين المشهورين .

وربما كان « كتاب الخيل » لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي : تيم قريش المتوفى سنة تسع ومئتين للهجرة (٢٠٩ هـ) ، من أقدم ما وصل إلينا من المصنفات اللغوية التي أفردت مكاناً خاصاً بالألوان . فقد وضع أبو عبيدة ، كما هو معروف ، كتاباً خاصاً بالخيل ، تحدث فيه عن عناية العرب بالخيل وإيثارهم لها ، وذكر أشعارهم في ذلك ، وما تآلته عرب الجاهلية من الأشعار في اتخاذ الخيل . ويبيّن مكانتها في الاسلام ، وتحدث عن الأمر بارتباطها وما ورد في فضلها من الأحاديث والآثار ، وأورد صفاتها وسميها ، وما تستدبه العرب في الخيل وما لا تستحبه . وخصّص جزءاً مهماً من كتابه هذا للحديث عن ألوان الخيل ... (١) فأجمل ألوانها بقوله : أدهم وأخضر وأحوى ، وكُنَيْت ، وأشقر ، وأصفر ، ووَرْد ، وأشهب ، وأبرش ، ومُلَمَّع ، ومولَّع ، وأشيم (٢) .

ثم بدأ أبو عبيدة يتحدث عن « الدُّهْمَة » والحُضْرَة والحَوَّة والكُؤْمَة والصُّفْرَة والوَرْدَة والشُّقْرَة والشُّهْبَة ، كلاً على حدة .

* بحث ألقى في المؤتمر الثالث والخمسين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٦ — ١٩٨٧ .

١ — انظر : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، ص ١٠٣ — ١٠٨ .

٢ — انظر المصدر ذاته ص ١٠٣ .

في نهجه هذا ، مستقصياً التموجات الدقيقة داخل كل لون من الألوان الرئيسية التي ذكرها ، محمداً ظلها ، جاعلاً من كل تأكيد لون ، كما تسمى في التراث ، لوناً يندده ويعرفه ويشرح ماهيته من خلال النصوص أحياناً . فقد جعل لكل لون من الألوان الرئيسية مدىً ومجالاً ، تتماوج فيه ألوان متعددة .

فبعد حديثه عن الخضرة ، يتحدث عن الحوّة ، ويذكر تأكيدات هذا اللون ، فيقول في حديثه عن الخيل : « فمنهن أحوى أحمر ، وأحوى أصبغ ، وأحوى أدحل ، وأحوى أكهب ... »^(١)

ثم يتحدث عن الكتمة في موضوع الخيل فيقول : « فمنهن كميّت أحمر ، وكميّت أطخم ، وكميّت مدمي ، وكميّت أحمر ، وكميّت أكلف ... »^(٢)

ثم يتحدث عن الصفرة فيقول : « ومن الصفرة أصفر أعفر ، وأصفر فاقع ، وأصفر ناصع »^(٣) ثم يتحدث عن « الورد » فيقول : « فمنهن ورد خالص ، وورد مُصنّف ، وورد أعبس »^(٤) ثم يتحدث عن « الشقرة » فيقول : « فمنهن أشقر أدبس ، وأشقر مدمي ، وأشقر أقهب ، وأشقر أمغر ، وأشقر أفضح ... »^(٥)

ثم يواصل حديثه عن بقية الألوان التي ذكرها في البداية ، فيتحدث عن الشبيهة فيقول : « أما الأشهب فكل فرس تكون شعرته على لونين ثم تفرق شعرته فلا تجتمع من واحد من اللونين شعرات فلا تخلص بلون واحد ، كقدر الوكنة فسا فوقها ، فاذا كان كذلك فهو أشهب . وإذا اجتمع من كل واحد من اللونين نكبة صغيرة تخلص من اللون الآخر ، فهو « أبرش » . فاذا عظمت النكبة فهو « مدتر » ، واذا كان في جسده بقع متفرقة مخالفة للونه ، فهو « ملّمع » ، وهو « الأشيم » ، فاذا كان فيها استطالة فهو « مولّع »^(٦)

١ — انظر أبو عبيدة معمر بن المثنى ص ١٠٤

٢ — انظر المصدر نفسه ص ١٠٥ .

٣ — انظر المصدر نفسه ص ١٠٦ .

٤ — المصدر نفسه ص ١٠٥ .

٥ — المصدر نفسه ص ١٠٧ .

٦ — انظر المصدر نفسه ص ١٠٨ .

وينتقل أبو عبيدة للحديث عن « الشية في الفرس » ويعرف الشية بقوله : « والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس » وقبل أن يتحدث عن أنواع الشية ، يشير إلى أن الفرس الذي لم يكن فيه شية ، فهو بهيم ، وهو مُصنّت من أي الألوان كان . ثم يواصل حديثه عن الشية قائلاً : « فمن الشية الغرة والعرج والرثم والتحجيل والسعف والنبط والسبع والشعل واللمظ واليعسوب والتعميم والبلق (١) .

ويعود أبو عبيدة ، وفق منهجه في كتابه هذا ، فيأخذ كل شية من هذه الشيات ويعدّد تأكيد ألوانها ، ثم يتناول كلّاً منها بالتعريف والشرح . ونلاحظ أنه في حديثه عن شيات الخيل يكثر من إيراد الشواهد الشعريّة . ونجد المُصنّف في ذلك كله لم يزعم أنه يقوم باستقصاء كل ما ورد عن العرب في هذه الألوان ، ونستشف هذا من أسلوبه في الحديث فيقول مثلاً : « ومن الصفرة كذا ومن الشية ومن العرر كذا الخ

وقد أحسينا ما يزيد على ثمانين لوناً ، تحدث عنها أبو عبيدة في كتابه « الخيل » ، وهو في ذلك كله يعرفها ويحدّد دلالتها اللونية ، جاعلاً من كلّ منها لوناً مستقلاً بذاته ، مبيّناً ما يدل عليه في المدى اللوني بتموجاته الدقيقة التي تنشأ عن تمازج الألوان وتداخلها . وهذا مجال واسع رحب يحتمل فيه الخيال والاحساس اللغوي مكانة متميزة . والحق ، فقد أبدع الخيال العربي أيما إبداع في تحسس تداخل الألوان وتمازجها والتعبير عنها بالألفاظ خاصة بها ، دالة عليها . ونلاحظ ببعضنا هذا قائمة بالألفاظ الدالة على الألوان وتأكيدها ، التي أشار إليها أبو عبيدة في كتابه « الخيل » .

وما تجدر الإشارة إليه ، أنّه في أواخر الفترة الزمنية التي عاشها أبو عبيدة ، صاحب كتاب « الخيل » ، نجد أن كتاباً قد ترجم من اليونانية إلى العربية ، أو على أبعد تقدير ، ظهر في العبريّة منقحاً تحت عنوان « سر الخليقة وصنعة الطبيعة — كتاب العلل » لمؤلفه بليتيوس الحكيم . إذ إن الروايات ترجع ظهوره إلى عصر المأمون ، أي حوالي سنة ٢٠٠ هـ (٢) .

وقد تحدث هذا الكتاب عن الألوان ، وأفرد لها مقولة خاصة تحدث فيها عن مفاهيم الألوان من الناحية العلمية . وتحت عنوان : « القول في الألوان » يورد ما يلي :

١ — انظر أبو عبيدة ص ١٠٨ .

٢ — انظر بليتيوس الحكيم ، سر الخليقة وصنعة الطبيعة ، كتاب العلل ، ص ١٣ .

« اللون هو جنس الأجناس ، وإنما سُمِّي جنس الأجناس لأنه مُقسَّم للبياض والسواد والحُمْرة والصفرة والخُضرة والاسمانجوني . فأما القديم من الألوان فإثنا هو اثنان : البياض والسواد ، وهما جنسان قديمان ، ومنهما تتركب الحُمْرة والصفرة والخُضرة ولون السماء . ومن هذه الألوان تتركب جميع الألوان . وذلك أنه اذا اجتمع اللون الأبيض مع اللون الأسود ، فغلب الأسود الأبيض بجزء ، كان هناك لون أصفر . واذا تكاثف الأبيض على الأسود ، وتداخل الأسود في الأبيض ، كان هناك لون أحمر مشقوق ، واذا غلب السواد البياض بدرجة ، كان هنالك لون اسمانجوني (١)

ويتحدث هذا المصنّف عن تولد الألوان المختلفة بالتفصيل ، ويحدد تولدها من بين الأسود والأبيض والأصفر والأحمر والأخضر . (٢) وفي حديثه عن تمازج الألوان يقول : « وأما الأخضر ، فإنه يتولد بين السواد والبياض ، وذلك لأننا نرى الأخضر محتسلاً للونين ، أعني بذلك السواد والبياض ، لأننا رأينا فيه أجزاء السواد والبياض » (٣) .

ومهما يكون من القيمة العلمية للبحث عن الألوان في هذا المُسنَّف ، فإنه يظهر لنا الاهتمام الكبير بالألوان في هذه الفترة الزمنية المبكرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية . واذا كان من المرجح عندنا أن أبا عبيدة وغيره من اللغويين قد اطلعوا على هذا الكتاب ، وربما تأثروا بمنهجه في التقسيم والتصنيف ، فاننا في الوقت ذاته . نمتد كما هو واضح ، أن دلالات الألوان في العربية عميقة الجذور ، توأكب حياة العربية في بيئاتها المختلفة ، وتساير متطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل .

ومن المصادر اللغوية المهمة التي يجب أن نقف عندها ، في القرن الثالث الهجري ، « كتاب تخلق الانسان » لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت ، وثابت هذا من علماء اللغة في القرن الثالث الهجري . فقد تتلمذ على أبي القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ . وهو مصدر مهم من مصادر ابن سيدة في كتابه المُخصَّص .

فقد عني ثابت بكتابه هذا بالألوان ، فجعل باباً خاصاً بالألوان الشعر ، وكان من مصادره الأساسية أبو عبيدة والأصمعي وابن الأعرابي . فيبدأ الحديث في « باب ألوان

١ — انظر بلنوس الحكيم ، سر الخليفة وصناعة الطبيعة ، كتاب العلل ص ٤٧٣ .

٢ — انظر المصدر نفسه ص ٤٧٧ .

٣ — انظر المصدر نفسه ، ص ٤٧٩ .

الشعر» ، بقوله : قال الأصمعي ثم يورد قوله في الشعر اذا كان شديد السواد الخ (١) .

ويفرد بابا آخر في كتابه يسميه : « باب صفات ألوان الحدقة » : ويبدأه أيضاً بعبارة : قال الأصمعي : في العين الشُّهْلَةُ ثم يورد رأي الأصمعي ... ويتحدث حديثاً مستفيضاً عن ألوان الحدقة (٢) .

ونحن إذا تركنا القرنين الثاني والثالث الهجريين جانباً إلى القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري ، نجد أن موضوع الألوان في العربية قد ازداد أهمية ، واتصفت الدراسات حوله بالامتساع والعمق من ناحية ، وتطور منهج البحث فيه من ناحية أخرى كي يصبح نواة لمعجم لغوي خاص بالألوان . وهذا ما نراه بوضوح متمثلاً بكتاب « الملمع » صنعة أبي عبد الله الحسين بن علي النعمري ، المتوفى سنة ٣٨٥هـ. فقد حرص المؤلف على تحديد معاني الألوان من خلال نصوص وشواهد شعرية اختار أكثرها من أشعار الفحول من شعراء الجاهلية والاسلام .

ولا شك في أن التأليف اللغوي قد عرف معاجم المعاني في عصر النعمري بل وفي العصور التي سبقته ، فكان هنالك ما نستطيع تسميته معاجم متخصصة بالخيال والابل والشاء ، كما نرى ذلك عند ابي عبيدة معمر بن المثنى وأبي زيد والأصمعي وابن قتيبة وأبي عمرو الشيباني وغيرهم . ولكننا نلاحظ أنها كانت جميعاً تجعل من أجزاء الموضوع وحدة متكاملة ، في حين أننا نجد صاحب كتاب « الملمع » ينحو منحى آخر ، فيحاول أن يضع كتاباً خاصاً بالألوان . فيتحدث عن كل لون ومؤكداًته من خلال النصوص والشواهد ، مما يضيفي على منهجه قيمة خاصة ويجعله أقرب ما يكون إلى نواة معجم متكامل لألفاظ الألوان

وقد استهل كتابه بعد التحميد والدعاء بقوله : « إنَّ الله عز وجل خلق الألوان خمسة : بياضاً وسواداً وحُمْرةً وصُفْرةً وحُضْرَةً ، فجعل منها أربعة في بني آدم : البياض

١ — انظر ثابت بن أبي ثابت ، كتاب خلق الانسان ، ٨٥ — ٨٨ .

٢ — انظر المصدر نفسه ص ١٣٠ — ١٣٣ .

والسواد والحُمْرة والصفرة» (١) ويتحدث عن ذلك حديثاً مستفيضاً ويورد شواهد اختارها لفحول الشعراء (٢) ، ويصنف معجمه الصغير هذا وفق الألوان الأربعة وبالترتيب ذاته ، ويضيف إليها لون الحُمْرة .

ومما يلفت الانتباه ، أن صاحب « الملمع » قد جعل اللون المحور الأساسي الذي تدور حوله مختلف الموضوعات . وإذا كان قد اقتصر على الألوان الأربعة الرئيسية ، وأضاف إليها لون الخضرة مع استدراكه عليه بقوله : « والخضرة عند العرب : السواد » (٣) ، فقد أوضح رأيه في بقية الألوان ، إذ يتساءل : « فإن قال قائل : فأين الثُّبرة والسُّمرة والزُّرقة والصحمة والشُّقرة وأشكالهنَّ من الألوان ؟ قيل : هذه الألوان ليست نواصع خوالص . وكلُّ يُرَدُّ إلى نوعه ، فالعُبرة إلى البياض ، والسُّمرة إلى السواد ، والزُّرقة إلى الحُمْرة ، والصحمة إلى الصفرة ، والشُّقرة إلى الحُمْرة . والعرب عمدت إلى نواصع الألوان فأكدتها ، فقالت : أبيض يَقْقُ ، وأسودُ حالِكٌ ، وأحمر قانيء ، وأصفرُ فاقع ، وأخضرُ ناضر » (٤) . وقد وضع منذ البداية قواعده الأساسية في المنهج الذي اختطه . فصنّف الألوان إلى أنواع ، وسمّاها نواصع الألوان ، وكلُّ نوع يشتمل على ما يسميه « تأكيد الألوان » إذ يقول : « والعرب عمدت إلى نواصع الألوان فأكدتها . فقالت : أبيضُ يَقْقُ ، وأسودُ حالِكٌ ، وأحمرُ قانيء ، وأصفرُ فاقع وأخضرُ ناضر » (٥) . وهكذا يسير في كتابه ، بل في معجمه الصغير الذي خصصه للألوان ، فيتناول كلَّ نوع من الألوان ويستغرق جملة من تأكيداتها ، مورداً الشواهد الشعرية التي يختارها لفحول الشعراء .

يبدأ الحديث عن البياض ، الذي يمتزج مع السواد أكثر أنواع الألوان انتشاراً ، ويحرص دائماً على أن يكون التعريف من خلال الشواهد الشعرية التي يختارها . وشأن المنهج اللغوي يهدف إلى تعريف المصطلحات من خلال النصوص .

وإذا تركنا منهجه المعجمي جانباً ، وهو منهج يستحق الدراسة والبحث ، فإننا نرى المصنّف يولي الشرح اللغوي والضبط في النطق أهمية كبيرة فيتحدث عن

١ — انظر أبو عبيدة الحسين بن علي النعماني ، كتاب الملمع ، ص ١ .

٢ — انظر المصدر نفسه ص ٢ — ٧ .

٣ — كتاب الملمع ، ص ١٠٢ .

٤ — المصدر ذاته ، ص ٨ .

٥ — المصدر ذاته ، ص ٨ .

البياض ، فيورد التأكيدات التالية : أبيض يَمَقُّ ... وأبيض لَهَقُ ... وأبيض لِيَاخَ وِلْيَاخَ ، ومعناها من المبالغة فهذه الثلاثة كأنهن سواء وليس لهن فعل وأبيضُ وابيضُ ووبَّاصُ وأبيضُ دُكِمِصٌ ودُلامِصٌ ودُمَلِصٌ ودُمَالِصٌ وأبيضُ بَرَّاقٌ ... فهذه كلها سواء ، ومعناها البريق .

وإلى جانب الشواهد الشعرية والعناية بشرح الألفاظ اللغوية الغريبة وضبطها ، يعنى المؤلف بالاشتقاق من أسماء الألوان وتأكيداتها ... وتأكيد اللون كما هو معلوم هو في حقيقة الأمر لونٌ ممَّيزٌ عما عداه .

فيورد مثلاً : أبيضُ خالِصٌ وناصعٌ ... يقال : خَلَصَ يَخْلُصُ خَلُوصاً ، وَنَصَعَ يَنْصَعُ ... وأبيضُ ناصعٌ : نَصَعَ يَنْصَعُ نُصُوعاً وأبيضُ هِبْرِيٌّ ... وأبيضُ صَرَّحٌ ويعلق على ذلك بقوله : « وأظنه اشتق من الأمر الصريح ، واللبن الصريح ، هذا كله سواء ومعناه الخلوص . وأبيضُ حُرٌّ .. (١) ويقوده شرح الغريب في الشواهد إلى الموقوف عند بعض تأكيدات اللون في الخيل أو في الانسان فيقول مثلاً : الرُّثْمَةُ : بياضٌ في الجَحْفَلَةِ العُلْيَا ، فإذا كان في السفلى فهو أَلْمَظُ .. وأبيض هجان ويعلق المُصنِّفُ على ذلك قائلاً : فهذان (أي الحرّ والهجان) متساويان ، ومعناهما الكرم

وأبيض أبلج وأبيض واضح ويعلق المُصنِّفُ قائلاً : « فهذان يتساويان ومعناهما الوضوح » .

وأبيضُ بضٌ ... ويقال : بَضَّتْ تَبِضُّ بَضَاضَةً ، وهي التي كان وجهها يقطر ماء وقد تكون البَدَنَةُ أدماء

وأبيضُ غَضٌّ . ويقال : « غَضٌّ غُضَاضَةٌ ، ولم يعرفوا له فعلاً مستقبلاً ... ومعناه الدارلقة .. وأبيضُ أزهرٌ وأبيضُ مُشْرِقٌ وأبيضُ مُعْرَبٌ .. وهو الذي يَبِضُّ سائر شجره وبشجره ، وهو كثيرٌ في الناس والخيل وأبيضُ أَمَقُهُ ... قال أبو رياش رحمه الله — وهو أسوأ البياض ، وهو لون الجص ، ومعناه الافراط .. (٢) وهو في كل ذلك يورد الشواهد

١ .. انظر كتاب الملعب ص ١٦ — ١٧ .

٢ .. المصدر السابق ص ١٧ — ٢٦ .

ويشرح غريبها وينسبها في أكثر الأحيان إلى قائلها . وهذا المنهج الذي أشرنا إليه يلتزمه من أول الكتاب إلى آخره ، ولا يشذ عنه ألبتة ...

وهكذا يستوفي مختلف الموضوعات ، في مجال اللون الأبيض . فيتحدث عن الرجل فيقول : إذا كان الرجل أبيض فهو أَحْوَرِيٌّ والغُرْتُوق والغرائق والغُرْتُوق والغُرْتُوق : الشاب الأبيض (١) والأبْلَجُ : الأبيضُ الواسع الوجه في القِصَرِ والطول والأعْرُ والجَوْنُ واحدٌ . وتسمى الشمسُ جَوْنَةً لبياضها ... (٢) ، ويسمى النهارُ جَوْنًا لبياضه (٣) والجون أيضاً الأسودُ ، وهو من الاضداد (٤) ، ويقال : قومُ عُرَّانٍ وعُرٌّ ، وعُرَّانٌ جمعُ أعْرٌ ... كما يقال بِيضَانٌ وسُودَانٌ وحُمْرَانٌ والوضَّاحُ مثله (٥)

ثم ينتقل المصنّف إلى باب أسماء النساء البيض فيقول : فيهنَّ الرُّعبوية ، وجمعها رعابيبٌ وهنا نجد المصنّف يتجاوز حدود اللون الأبيض إلى صفات الحسن في المرأة البيضاء . ثم لا يلبث أن يعود الى موضوع اللون ... فيتحدث عن الزهراء ثم يقول : وسُميت الزُّهْرَةُ فُعْلَةً ، النجمُ ، لبياضها وصفائها ... وسميت المهابة زَهْرَاءَ كذلك ويذكر من أسماء النساء البيض الغرّاء ، والجمع عُرٌّ .. (٦) ثم ينتقل إلى باب آخر فيقول : العرب تدعو الأبيض أحمر . ويورد نصوصاً متعددة (٧) وفي باب آخر أيضاً يتحدث عن الجيش والسلاح فيقول : « فاذا كانت الكتيبة بيضاء فهي شهباء ولون الحماة أشهب (٨) .

ثم ينتقل إلى الخيل ، فيعدد في مجال اللون الأبيض الألوان التالية :

فإذا كان الفرسُ أبيض ، فهو مُعْرَبٌ .. وبعد ايراد الشواهد وفق منهجه يقول :
المُعْرَبُ الذي ينظرُ في بياض ويتابع في موضوع الخيل فيقول :

-
- ١ — كتاب الملمع ، ص ٢٧ .
 - ٢ — المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
 - ٣ — المصدر نفسه ص ٢٩ .
 - ٤ — المصدر نفسه ص ٣٠ .
 - ٥ — المصدر نفسه ص ٣٠ .
 - ٦ — المصدر نفسه ص ٣٤ .
 - ٧ — المصدر نفسه ص ٣٤ — ٣٥ .
 - ٨ — المصدر نفسه . ص ٣٤ — ٣٥ .

وهو أبيض بهيمٌ والبهيمُ الذي لا شِيَةَ به ، كان أبيضَ أو أدهمَ أو كميئاً أو أشقرَ ويقال : ليلٌ بهيمٌ إذا كان مظلماً لا ضوء فيه ... ثم يتابع حديثه عن الخيل فيقول : وهو صَمْتُ وصَتْمٌ وصَمُوتٌ ومُصَمَّتٌ ويقال للداهية التي لا فُرْجَةَ منها : مُصَمَّتَةٌ ثم يقول : « وليس في خيل العرب أشهب ، والشُّهْبَةُ شِيَةُ الهجين . والبياض كانه في الخيل رقة وضعف ، وإنما يوصف بالغرَّة والحُجُول الحسنهما (١) .

ثم ينتقل المصنف إلى الإبل في مجال اللون الأبيض أيضاً فيقول :

فإذا كان الجمَلُ أبيض ، فهو حَضَار (مبني على الكسر) والذكر والأنثى فيه سواء ... وهو (أي الجمَل) آدُم ، والأنثى أَدْمَاءُ ، وكرامُ الأبل أَدْمُهَا

ويذكر : أعيسٌ وعيساءُ والعيسُ يعني بياض الشعر ويقول أيضاً :

وأصْهَبُ وصَهْبَاءُ ويقال : قریش الإبل صُهْبُهَا وأدْمُهَا وكذلك يورد : نواعج ناعجات ... وأيضاً هجان للذكر والأنثى والجمع ثم يورد المصنف قول ابن السكيت : « الصهباءُ الناقة البيضاء يخالط بياضها حُمْرَةٌ ، تحمرُّ ذفاريها وعنقُها وكِنْفُها وذُرُونُها وأوذِفَتُها ، وبييضُ سائرِها . فإذا أفرط بياضُها فهي صهباءُ لياح . وإذا صدق لونُ البعير فلم يخلداهُ صُهْبَةٌ فهو آدم ، إلا أنه أسودُ الحماليق . والأدْمَةُ في الناس السُّمْرَةُ ، وفي الإبل البياض (٢) .

ثم ينتقل المؤلف إلى النعجة والظباء فيقول : فإذا كانت النعجة بياض العينة فهي عَيْنَاءُ ، والجمع عَيْنٌ ويقال : العَيْنُ : الكبار الأعينُ وإذا كان الظبي أبيضَ فهو رَيْمٌ ، والجمع آرَامٌ ويقال : الآرامُ ضأنُ الظباء . والعفرُ مُعْزَاهَا ، والأدْمُ إبلُهَا (٣) .

ثم يتحدث عن الحية فيقول : فإذا كانت الحية أبيضَ فهو الحُرُّ ... قال أبو حاتم : الحُرُّ حيةٌ أبيضٌ مثل الجانِّ ، والجانُّ في هذه الصفة . وأهل الحجاز يسمونه الأيم ، وبنو تميم تُسَمِّيهِ الأَيْنَ ... وأصله التَّمْديد (٤) .

١ — انظر الملّمع ص ٣٤ — ٤٠ .

٢ — انظر المصدر ذاته ص ٤٠ — ٤٥ .

٣ — انظر المصدر ذاته ص ٤٥ — ٤٦ .

٤ — انظر المصدر ذاته ص ٤٧ .

ثم ينتقل إلى السماء فيقول : فإذا كان السحابُ أبيض فهو أغرٌ ، والسحابةُ
غراءً الصَّيْبُ سحابٌ أبيض وهو الحُرُّ وهي العَمَامَةُ . ويقال : الغمامَةُ
كالسحابة في أي لونٍ كانت والصبهَاءُ : البيضاء ... الجهام : السحابُ الذي لا
ماء فيه . وهو الأقرُّ وبعد إيراده الشواهد على عادته يقول : الأقرُّ : لون يشبه
الرَّمَادَ ثم يتحدث عن أنواع السحاب وشواهد اللغوية خارج حدود اللون (١)

وفي حديثه عن الأرض وموضوعاتها يقول : فإذا كان الجبلُ أبيض ، فهو
أعبلٌ وإذا كانت الصخرة بيضاء فهي عبلاءً وإذا كان الحصى أبيض فهو
مَرَوٌ ، والواحدة مَرَوَةٌ (٢) .

وإذا كانت الكمأة بيضاء ، فهي فَقَعٌ وَفَقَعَةٌ وواحد الكمأة كَمَاءٌ ... وإذا
كان العسل أبيض ، فهو ضَرْبٌ وهو الماذيُّ ويقال : الماذيُّ : العسل اللين ..
وإذا كان العنب أبيض ، فهو مُلاحِيٌّ وإذا كانت الخمرة بيضاء فهي صَهْبَاءٌ ... وإذا
كانت الوردة بيضاء فهي وَثِيرَةٌ وبعد إيراد الشاهد يستطرد المصنف عائداً إلى
موضوع الخيل فيقول : والقُرْحَةُ : البياض في جبين الفرس كالدرهم ، فإن زاد على ذلك ،
فهو غُرَّةٌ . والمَعْدُ : أن لا يكون في وجه الفرس قُرْحَةٌ ، فَيَتَّفُ الشَّعْرُ فيخرج أبيض
وينهي المصنف بحثه في هذا الموضوع بقوله : ثم ذكر البياض ، والله المنة .

ومن هنا نرى أن المصنف اتبع منهجاً محدداً ، وجعل من أنواع الألوان محاور
للموضوعات التي يحاول اختيار أهم ألوانها ، دون استقصاء ، أو إيجاز مغل ، كما ذكر ذلك
في مقدمته .

ويسير المصنف على هذا المنوال من منهجه . ففي الحديث عن السواد يذكر
تأكيدات الألوان التالية :

يقال : أسودُ حالكٌ وحانِكٌ . وهو أشدُّ سواداً من حَتَكِ الثُّرابِ ومن حَلَكِهِ .
فحلِكهُ سوادهُ ، وحنكُهُ : منقاره
.....

١ - انظر كتاب الملّمع ص ٤٨ - ٥١ .

٢ - انظر المصدر ذاته ص ٥٢ - ٥٤ .

يقال : حَلَكَ يَحْلِكُ حُلُوكًا . وَحَلِكَ يَحْلِكُ حَلَكًا . ويقال لِلْبَيْتَةِ السَّوْدَاءِ :
 الحُلُوكَةُ .. وقيل لأعرابي : تقول مثل حَلَكِ الْغُرَابِ أَمْ حَنْكِهِ ؟ فقال : لا أقول مثل حَلَكِهِ
 أبداً . وَأَسْوَدُ — مُحْلَنِكَ ، وَاحْلَنَكَ الشَّيْءُ يَحْلَنُكَ احْلِنَكَ .
 وَأَسْوَدُ مُحْلَوْلُكَ ، وَاحْلَوْلَكَ يَحْلَوْلُكَ احْلِيلَاكَ — افْعَوْلُ مِنْ حَالِكَ — وَأَسْوَدُ
 مُسْحَنِكَ ، وَاسْحَنَكَ يَسْحَنُكَ اسْحِنَاكَ — افْعَنَكَ مِنْ حَانِكَ — وَأَسْوَدُ حُلُوكُكَ
 وَحَلَكُوكُ .

وَأَسْوَدُ حُلُوبُ .

وَأَسْوَدُ غَرِيبٌ وَالْجَمْعُ غَرَابِيبُ .

وَبَطْلُ الْحَجْرِ أَسْوَدُ .

وَأَسْوَدُ سَيْهَمٌ وَغَيْهَبٌ .

وَأَسْوَدُ سُحُوكُكَ .

وَأَسْوَدُ فَاحِجٌ : أَي كَلَوْنُ الْفَحِجِ .

وَأَسْوَدُ غُدَافٌ .

وَعَدْلُهُ (أَي اللَّيْلِ) سَوَادُهُ .

وَأَسْوَدُ دَجُوجِيٌّ وَدَجَاجِيٌّ .

وَأَسْوَدُ غَرَابِيٌّ كَلَوْنُ الْغُرَابِ .

وَأَسْوَدُ حُنَارِيٌّ .

وَأَسْوَدُ مُدْهَامٌ وَمُدْلَهَمٌ .

وَأَسْوَدُ يَحْمُومٌ وَسُمِّيَ الدُّخَانُ يَحْمُومًا لِسَوَادِهِ

ثم ينتقل إلى الحديث عن أسماء الرجال والنساء السود فيقول :

منهم الأذعجُ ، وهو الشابُّ الشديدُ سوادِ الشعرِ . وامرأةٌ دَعَجَاءُ . والدَّعِجُ فِي

العين ، شَدَّةُ سَوَادِهَا .

وَالجَوْنُ ، وَسُمِّيَ النَّمْرُ أبا الجَوْنِ لِلسَّوَادِ الَّذِي فِيهِ .

ومنهم أيضاً :

الدُّحَامِسُ والدُّخْمَسَانِيُّ والدُّخْمَسُ ،

والجَمِجِمُ ،

والأُحْوَى ،

وهو الحَلَكُمُ .

ومنهم أيضاً :

الأُدْغَمُ والدُّغْمَانُ والأَحْمُ الأَسْفَحُ والأَكْفَحُ والأَصْدَأُ ، والأَسْحَمُ ، والحَنْكَلَةُ :
السوداءُ القصيرةُ .

فإذا كانت الكتيبة سوداء فهي جأواء . والجَوَّةُ لون صدأ الحديد .

وهكذا يتابع المصنف منهجه في الحديث عن مختلف الموضوعات في حدود اللون

فيقول :

فإذا كان الفرسُ أسودَ ، فهو أدهم وملوكُ الخيلِ دُهمُها فإذا كان
الجملُ أسودَ ، فهو جَوْنٌ والجمعُ : جُونٌ .

ويروي المصنّف أنه قيل لابن لسان الحمرة ، وهو خطيبٌ نَسابةٌ بليغ . أخبرنا لغة
عن الإبل . فقال : حُمراها صَبْرًاها ، وعيسُها حُسْنًاها ، وورقُها غُزْرًاها ، ولا أبيعُ جَوْنَةً ولا
أشهدُ مَشْرًاها

وسُميت الحَمَامُ وُرْقًا لِوُرْقَتِها .

وهو (أي الجمل) أَظْمَى والجمعُ ظَمِي .

ثم ينتقل إلى موضوع الضأن فيقول :

فإذا كانت الضأن سوداً ، فهي لابة تُشَبَّه بالحرّة .

فإذا كان الكَبِشُ أسود ، فهو أَمْلَحُ .

ثم ينتقل إلى موضوع القطا فيقول :

فإذا غلب السوداءُ على القطا فهو جُونِي ، الواحدة جُونِيَّةُ .

ثم إلى العقاب فيقول :

فاذا كانت العقاب سوداء فهي تُحْدَرِيَّةٌ .

ثم إلى الحية فيقول :

فاذا كان الحية أسود ، فهو حَنْشٌ . وبعد ايراد الشاهد ، يعلق المصنف قائلاً :
« ويقال لجميع دواب الأرض أحناش ، كالضب والقنفذ واليربوع . ثم نُحِصُّ به الحية ، ثم
ينتقل المصنف إلى موضوعات السحاب والمطر ، فيقول :

فاذا كان السحاب أسود فهو ربابٌ .

وهو (أي السحاب الأسود) الأَسْحَمُ .

والجَوْنُ الجَوْنِيٌّ .

وهو (أي السحاب الأسود) الأَحْمُ .

ثم ينتقل إلى موضوع الأرض فيقول :

فاذا كان الجبل أسود فهو ظَرْبٌ ، وجمعه ظِرَابٌ . وهي جبال صغار وهو (أي
الجبل الأسود) القَارَةُ والجمعُ قَارٌ وقُورٌ . والقَارَةُ : جَبَلٌ صغير أسود منفرد ، ليس حوله
شيء ، وله طولٌ في السماء .

فاذا كان الحصى أسود فهو حَرَّةٌ . والجمعُ حِرَارٌ .

وهي (أي الحرة) اللَّابَةُ واللُّوبَةُ وجمعها لَابٌ ولُوبٌ . وتجمعُ الحرة حَرَاتٍ
وأَحْرِينَ .

والعَرَبُ تُسَمَّى الأسودَ أَحْضَرَ^(١) .

ويورد التَّمْرِيُّ في باب الحُمْرة ما يلي :

يقال : أَحْمَرُ قَانِيٌّ ، وقد قَنَأَ يَقْنَأُ قُنُوًّا (في المعاجم قنوءاً بالهمز) وَأَحْمَرُ
عَضْبٌ ويقال : لِلصَّخْرَةِ الحُمْراءُ : عَضْبَةٌ . قال ابن الأعرابي :

١ — انظر الملمع ، ذكر السواد ص ٦٠ — ٨٤ .

من ها هنا قيل للأحمر : غَضِبْتُ .

وأحمر عاتِكُ .

وأحمرُ وَرْدٌ والوردُ الخالص .

وأحمرُ فاقِعٌ وفُقاعِيٌّ . ويُقالان في الصُّفْرَةِ .

ويقال في الألوان كلها : فاقِعٌ وناصِعٌ ، إذا خَلَصَ وصفا .

وأحمرُ مُدْمِيٌّ .

وأحمرُ باحِرِيٌّ وِبَحْرانِيٌّ .

وأحمرُ كَرِكٌ .

وأحمرُ قاتِمٌ .

وأحمرُ ناكِعٌ .

ويقال لكلِّ أحمرٍ إضْرِيحٌ والإضْرِيحُ : صَبِغٌ أحمرٌ . ويقال لكلِّ أحمرٍ إضْرِيحٌ
وجِرْيالٌ وَعَنْدَمٌ .

وأحمرُ سِلْفَعْدٌ ، وهو المُقَشَّرُ حُمْرَةً .

ثم ينتقل إلى مختلف الموضوعات ، وفق الترتيب الذي تناوله في الحديث عن الألوان
السابقة فيقول :

فإذا كان الرجل أحمر فهو أشقر ، والشُّقْرَةُ عند العرب عَيْبٌ .

والأَقْشَرُ : الأحمر الذي ينقشرُ وجهه ، وهو لون قبيح .

فإذا كان الفرسُ أحمر فهو أشقرُ . وشُقْرُ الخيل : ديباجُها . وقد سماه بعضهم
أحمر فإذا خَلَصَتِ الشُّقْرَةُ فهو وَرْدٌ والجمعُ وِرادٌ فإذا زادت حُمْرته وَسَبَّغَتْ
فهو كُمَيْتٌ

فإذا كانت الناقة حمراء فهي كُمَيْتٌ وهي حمراء .

فإذا كانت النعجة حمراء فهي الدَّهْمَةُ .

فإذا كان الجبلُ أحمر فهو هَضْبَةٌ .

فإذا كانت الأرض حمراء الحصى فهي حَشْرَمَةٌ .
فإذا كان الكمءُ أحمرَ فهو جَبءٌ وثلاثةُ أَجْبُوءٍ ، وهي الجِبَاءُ وجمعها جِبَاءٌ .
فإذا كانت الحمرةُ حمراءَ فهي كُمَيْتٌ . وهي الجِرْيَالُ . قال الأصمعي : الجِرْيَالُ
تكون الحُمْرةُ بعينها ، ويكون الصبغُ الأحمرُ (١)

ثم ينتقل صاحب الملمع إلى الحديث عن لون الصُّفْرَةِ ، فيقول :
يقال : اصفر فاقِعٌ وفُقَاعِيٌّ ولا يُقال فاقِعٌ الا للأصفر . فمن قال أسودُ فاقِعٌ
فهو كمن قال : أبيضُ حَالِكٌ .
وأصفرُ وارسٌ .

فإذا كانت الحنظلةُ صفراءَ فهي صِرَايَةٌ (٢) .

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن الحُضْرَةِ ، ولم يخصص له سوى صفحتين اثنتين ،
وذلك لأنه لا يراه في حقيقة الأمر نوعاً مستقلاً من الألوان ، وذلك للتمازج الذي صار بين
الحُضْرَةِ والسواد فيقول في باب الحُضْرَةِ :

يقال أخضرُ ناضرٌ . وقد نُضِرَ يَنْضِرُ نَضَارَةً ...
وأخضرُ باقِلٌ .

وأخضرُ حانِيءٌ . يقال : حَنَاتِ الأَرْضُ تَحْنَأُ حُنُوءاً : إذا اخضرتْ والتفَّ نبتُها .

وسئل أعرابي عن القُرْاصَةِ فقال : هي عُشْبَةٌ لها نُورٌ أصفرٌ . وهي نحوُ الأَفْحَوَانَةِ
حانئةُ الحُضْرَةِ أي شديدةُ الحُضْرَةِ .

وأخضرُ زاهرٌ .

وأخضرُ مُدْهَامٌ .

فإذا كانت الأرضُ خضراءَ فهي مُحْلِيسَةٌ ومُسْتَحْلِيسَةٌ ، فإذا تفرقت الحُضْرَةُ ها هنا
وها هنا فهي نُقَاءٌ
.....

١ — انظر الملمع ، باب الحمرة ص ٨٥ — ٩٦ .

٢ — انظر الملمع ، باب الصفرة ، ص ٩٧ — ١٠٠ .

والخُضْرَة عند العرب : السَّوَادُ . وسُمِّي سواد العراق سواداً لكثرة خضرته (١) وبذلك ينهي النَّمْرِيُّ كتابه الذي سممه بالملَّمَع ، وقد جعله وفقاً على الألوان . والألوان في أنواعها عنده خمسة ، جعل الله سبحانه وتعالى أربعة منها في بني آدم وهي : البياض والسَّوَادُ والحُمْرة والصُّفْرَة . أما اللون الخامس فهو الخُضْرَة ، ولم يعره اهتماماً كبيراً في تصنيفه هذا ، وربما نجد تفسير ذلك فيما نصَّ عليه ، منذ البداية ، إذ يقول : « الخُضْرَة عند العرب السَّوَادُ » (٢) .

وإنَّ تصنيف الألوان الذي اتبعه النَّمْرِيُّ ، يترجم هذه النظرية التي جعلت من ألوان الانسان ، إلى حد كبير أساساً لأنواع الألوان ، وإنَّ المدى الذي يفصل بين كلِّ نوع من الألوان حيث تتموج فيه ألوان يصعب حصرها ، يطلق على ذلك عبارة : تأكيد اللون . وعلى هذه الشاكلة يفسح المجال في العربية امام أسماء ألوان لا يحدها الا مدى الاحساس المرهف في تمييز الألوان ، والخيال الواسع في تصوير مزج هذه الألوان وتداخلها وعلى الرغم مما أشار اليه النَّمْرِيُّ منذ البداية ، فإنَّه لم يقم باستقصاء ألفاظ الألوان ، فقد أحصينا في كتاب الملَّمَع أكثر من مئة وأربعين لفظة دالة على ألوان مختلفة .

وفي القرن الخامس الهجري ، وقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية ذروتها لا بد لنا من أن نقف عند مصنفات ثلاثة عنيت بألفاظ الألوان وأنواعها عناية خاصة وهي وفق الترتيب الزمني :

- ١ — كتاب مبادي اللغة — مع شرح أبيات مبادي اللغة — للشيخ الامام ابي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) .
- ٢ — كتاب فقه اللغة وسرّ العربية ، تأليف الامام اللغوي أبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) .
- ٣ — كتاب المخصّص تأليف أبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ، المعروف بابن سيده (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) .

١ — انظر الملَّمَع ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

٢ — انظر المصدر نفسه ص ٢ .

فقد خصص الاسكافي في كتابه مبادي اللغة ، باباً سماه « باب ألوان الخيل » ،
تحدث فيه عن البهيم والمُصنَّمت من حيث إنهما تطلقان على كل ذي لونٍ واحد لا شية
فيه ، ما خلا الأشهب ، فانه لا يقال له « بهيم » وقد يقال له مُصنَّمت .

ثم يبدأ الحديث عن ألوان الخيل ، ويحصرها في ثمانية ألوان نوعية هي : الدَّهْمُ الحُوُّ
ثم الحُضْرُ والكُمْتُ والوِراد والشُّقْرُ والصُّفْرُ والشُّهْبُ .

ثم يفصّل الحديث عن الألوان الفرعية في مجال كل لون من هذه الألوان الرئيسية ،
فيذكر في مجال الدَّهْم ستة ألوان ، وفي مجال الحُوُّ أربعة ألوان وفي الحُضْر أربعة ألوان ، وفي
الكُمْت يذكر سبعة ألوان ، وفي الوِراد ثلاثة ، وفي الشُّقْر سبعة أيضاً ، وفي الصُّفْر يذكر
أربعة . ويحرص على تعريفها جميعاً وتبيان درجتها في اللونية .

وفي باب الشيات ، يتحدث بدقة وإيجاز عن الشيات والأوضاع ، فيسرد طائفة
كبيرة من ألفاظ الألوان التي تعد من شيات الرأس ومن شيات الناصية ومن شيات
الوجه ، ويفرد باباً خاصاً بالبَلَقِ وآخر بالتحجيل^(١) .

أما الثعالبي ، في كتابه « فقه اللغة وسرّ العربية » ، فقد توسع في الحديث عن
الألوان ، ولم يخرج عن الموضوعات الرئيسية فيما يتعلق بالانسان والحيوان والنبات ، وكان
يقتصر على حدّ تعبيره ، على أشهر الألفاظ وأسهلها . فخصص الباب الثالث عشر من
مصنفه للحديث عن الألوان ، وسماه : « في ضروب من الألوان والآثار » ، وجعل هذا
الباب في فصول . فكان الفصل الأول « في ترتيب البياض » ، والفصل الثاني : في تقسيم
البياض واللغات ، وفيه كثير مما يُوصف به ، مع اختيار أشهر الألفاظ وأسهلها . وكان
الفصل الثالث في « تفضيل البياض » ، والفصل الرابع في « بياض أشياء مختلفة » ،
والفصل الخامس جعله فيما يناسب البياض . وفي الفصل السادس تحدث عن « ترتيب
البياض في جبهة الفرس ووجهه » ، وجعل الفصل السابع « في بياض سائر أعضائه » ، أي
الفرس ، كما يأخذه عن الأئمة . والفصل الثامن أورد فيه ما هو معتمد في دواوين الدولة من

١ - انظر : كتاب مبادي اللغة مع شرح أبيات مبادي اللغة للشيخ الأمام ابي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب
الاسكافي (المتوفى سنة ٤٢١هـ) ، عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين التمساني الحلبي ، مصر ،
١٣٢٥هـ ، ص ١٢٣ - ١٣٠ .

الألوان والوشيات التي تميز بها الخيل ، فجعله تحت عنوان : « فصل يتصل به في تفصيل ألوانه ووشياته على ما يستعمل في ديوان العرض » : والفصل التاسع : « في ألوان الإبل » ، والفصل العاشر في « ألوان الضأن والمعز ووشياتها (كما يرويه عن أبي زيد) ، وجعل الفصل الحادي عشر في « ألوان الظباء » (كما يأخذه عن الأصمعي وغيره) . وجعل الفصل الثاني عشر تحت عنوان : « في ترتيب السواد على الترتيب والقياس والتقريب » .

والفصل الثالث عشر : في « ترتيب سواد الانسان » ، والفصل الرابع عشر : « في تقسيم السواد على أشياء توصف به مع اختيار أفصح اللغات ، والفصل الخامس عشر جعله تحت عنوان : « في سواد أشياء مختلفة » ، وكذلك جعل الفصل السادس عشر ، وسمي الفصل السابع عشر « في لواحق السواد » ، والفصل الثامن عشر « في تقسيم السواد والبياض على ما يجتمعان فيه » والفصل التاسع عشر « في تقسيم الحمرة » ، والفصل العشرين جعله في « الاستعارة » ، مثال ذلك قوله « عيش أخضر . وموت أحمر ، ونعمة بيضاء ، ويوم أسود ، وعدو أزرق » .

وجعل الفصل الحادي والعشرين « في الاشباع والتأكيد » مثال ذلك : أسود حالك أبيض يقق ، وأصفر فاقع ، وأخضر ناضر ، وأحمر قانيء » وجعل الفصل الثاني والعشرين « في ألوان متقاربة » كما يأخذه عن الأئمة ، والفصل الثالث والعشرين « في تفصيل النقوش وترتيبها » مثال ذلك : النَّقْشُ فِي الْحَائِطِ ، الرَّقْشُ فِي الْقِرطَاسِ ، وَالْوَشْيُ فِي الثَّوْبِ ، وَالْوَشْمُ فِي الْيَدِ ، وَالْوَسْمُ فِي الْجِلْدِ ، وَالرَّشْمُ فِي الْحَنْطَةِ أَوْ الشَّعِيرِ ، وَالطَّبْعُ فِي الطَّيْنِ وَالشَّمْعِ ، وَالْأَثْرُ فِي النَّصْلِ (١) .

فإن كان الثعالبي قد عني عناية كبيرة في تحديد معاني الألفاظ الدالة على الألوان في هذا الباب من كتابه النفيس ، فقد حرص على اختيار أشهر الألفاظ وأسهلها في هذا المجال ، مما جمعه من المصادر السابقة وأخذه عن أئمة اللغة ، مع حسن ترتيب وإيجاز يتصف بالدقة والوضوح . ومن ناحية أخرى ، فقد وضع بين أيدينا قائمة لسلمات الخيل وألوانها المعتمدة في دواوين الدولة . فجعل الفصل الثالث ، كما أشرنا سابقاً ، فيما « يتصل به (أي الفرس) في تفصيل ألوانه ووشياته على ما يستعمل في ديوان العَرْض » .

١ - انظر : فقه اللغة وسر العربية ، تأليف الامام اللغوي أبي منصور عبدالمك بن محمد الثعالبي ،

إن هذه الإشارة مهمة جداً ، إذ توضح لنا أن هنالك ديواناً خاصاً « بالعرض » يسجل فيه كل فرس ، لغرض الاحصاء والعطاء والنفير ولتسيير الجيش في وظائف الدولة ولا شك أن هذا الوضع يفسر لنا إلى حد كبير الاهتمام بدقائق الألوان والألفاظ الدالة عليها .

وفي هذا العرض الشامل للألوان في اللغة العربية من خلال هذا التراث الخصب ، لا بدّ لنا من التوقف عند كتاب مهم من كتب التراث ، ومصدر لغويّ معجمي جعل الموضوعات العامة أساساً في تصنيف مواد اللغة وترتيبها وهو : كتاب « المخصّص » تأليف أبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيدة (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) .

تحدث ابن سيدة في السفر الأول من كتابه الموسوم « المخصّص » عن « صفات ألوان الحدقة »^(١) . وفي منهجه يورد آراء أئمة اللغة وفق الموضوعات التي جعلها أساساً لترتيب معجمه . مثال ذلك ، أنه جعل « ثابتاً » مصدره الأساس يقول : « ثابت (أي عنه) في العين الشَّهْل ، والشُّهْلَة — وهو أن تُشرب الحَدَقَةُ حُمْرَةً ليست تُحْطُوطاً كالشعلة ، ولكنّها قَلَّة سواد الحدقة حتى كأنَّ سوادها يَضْرِبُ إلى الحُمْرَة . وقد شَهِل الرجلُ شَهْلًا وأشْهَلَ فهو أشْهَلُ والانشى شَهْلَاءُ . وأنشد :

كأني أشهل العينين بازٍ على علياء شبه فاستحالا

يقول ابن دريد : هو — أقل من الزرق^(٢) ...

وفي السفر الأول أيضاً يتحدث عن « ألوان الشفة »^(٣) وفي السفر الثاني يفرد للألوان بحثاً خاصاً ، فيورد آراء أئمة اللغة في تعريف اللون ، فيبدأ بذكر رأي ابن دريد ، حيث يقول : لون كلّ شيء ، ما فصل بينه وبين غيره ، والجمع ألوان ، وقد تلوّن ولوّثته ويورد أقوال أبي عبيدة والفراسي وابن جنّي وابن السكّيت وصاحب العين وربما أشار

١ — انظر المخصّص السفر الأول ص ٩٩ — ١٠٠ .

٢ — انظر المخصّص السفر الأول ص ٩٩ .

٣ — انظر المخصّص ، السفر الأول ، ص ١٤٢ — ١٤٣ .

ابن سيدة إلى تعريف الألوان الذي يورده كتاب سرّ الخليقة وصنعة الطبيعة دون أن يشير إلى المصدر ويذكره بصورة مبهمة حيث يقول :

« وقالوا (أي في تعريف الألوان) السواد والبياض . قال الفارسي :

ومثّلوا بهما طرفي النهار ، فقالوا : الصّباح والمساء ، لأنّ الصّباح وضح ، والمساء سواد^(١) . وهذا يجمل الرأي الذي يقول : فأما القديم من الألوان فانما هو اثنان : البياض والسواد ، وهما جنسان قديمان^(٢) .

وبعد تعريف الألوان ، يتحدث ابن سيدة عن السواد والبياض واختلاط الألوان في الصُّهْبَةِ والحُمْرَةِ والشُّقْرَةِ والصُّفْرَةِ والحُضْرَةِ والزَّرْق والدَّخْلَةِ في اللون هو تخليط من ألوان في لون والبَرَشُ والبُرْشَةُ والنَّمَش . وقد نَمَشَ نَمَشاً فهو أُنْمَشُ والانشى نَمَشاً^(٣)

وفي السفر الرابع يتحدث ابن سيدة عن « ألوان اللباس »^(٤) وفق منهجه الذي أشرنا إليه ، وفي السفر الخامس يتحدث عن : « تَغْيِيرُ اللون من المرضي واليئس » . فيذكر مختارات منه^(٥) ، وفي الجزء السادس ، يفرد بحثاً مطولاً عن « ألوان الخليل »^(٦) ، وكذلك يفرد في السفر السابع بحثاً خاصاً عن « ألوان الابل »^(٧) ، ويتحدث أيضاً في السفر نفسه عن « شيات الضأن ونعوتها »^(٨) وفي الجزء الثامن يتحدث عن « نعوت الظباء من قبل ألوانها »^(٩) .

١ — المخصص ، السفر الثاني ، ص ١٠٤ .

٢ — سر الخليقة وصنعة الطبيعة ، ص ٤٧٣ .

٣ — المخصص ، السفر الثاني ص ١١٠ — ١١١ .

٤ — المخصص ، السفر الرابع ، ص ٩٥ — ٩٦ .

٥ — المخصص ، السفر الخامس ، ص ٧٢ — ٧٣ .

٦ — المخصص ، السفر السادس ص ١٥٠ — ١٥٧ .

٧ — المخصص ، السفر السابع ص ٥٥ — ٥٧ .

٨ — المخصص ، السفر السابع ، ص ١٩٢ — ١٩٥ .

٩ — المخصص ، السفر الثامن ، ص ٢٥ — ٢٦ .

وكذلك يتحدث في السفر الثامن عن « ألوان البقر »^(١) وفي السفر ذاته يتحدث أيضاً عن « ألوان الحمير »^(٢) .

وهكذا فقد استفاد ابن سيده الأندلسي من جميع المصنفات التي سبقته ، فأسدى إلى العلم خدمة كبيرة في إيراد الآراء المختلفة ، مَعزُوةً في معظم الأحيان إلى أصحابها . ولا شك في أن المخصص مصدر لغويّ أساسي ، وهو أيضاً مصدر مهمّ في مجال الألفاظ الدالة على الألوان المختلفة . وقد رأينا في كتاب « المخصص » أن الألفاظ الدالة على الألوان قد صنفت وفق الموضوعات العامة التي تكوّن المحاور الرئيسية للمنهج الذي اختطه ابن سيده في معجمه هذا . إنَّ معجم ابن سيده الأندلسي ، الذي وضع في حوالي منتصف القرن الخامس الهجري ، يبين لنا مدى ما بلغته الدراسات اللغوية في الأندلس بصورة عامة ، والتأليف المعجمي بصورة خاصّة . وإنَّ أهمية كتاب « المخصص » ناشئة من كونه أول معجم للمعاني متكامل بالعربية . ومن هذا المنطلق ، كانت عنايته بالألفاظ الدالة على الألوان .

ومما تجدر ملاحظته ، أن من أهم مصادرها اللغوية في تتبع ألفاظ الألوان ، المعاجم العربية والمصنفات التي كتبت عن الخيل . ولا شك في أن العناية الفائقة في وضع المصنفات عن الخيل ، وتحديد أسمائها وصفاتها وألوانها ، تنم عن الأهمية الكبيرة التي تحتلها الخيل في حياة العربي ، وفي أسلحة الجيش في الدولة الإسلامية ، حيث أصبح هنالك ديوان خاص يسمى « ديوان العرّض » . وفي هذا الديوان تحدد ألوان الخيل وصفاتها المميزة بدقة متناهية .

وربما كان من أجل الكتب في هذا الموضوع في القرنين السابع والثامن الهجريين ، في الأندلس كتاب « الخيل مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال » ، تأليف عبدالله بن محمد بن جُزّي الكلبي الغرناطي ، من أهل القرن الثامن الهجري .

ويقول محقق الكتاب ، الأستاذ محمد العربي الخطابي : « هذا كتاب من التراث العلمي الأندلسي ... سماه مؤلفه أبو محمد عبدالله بن محمد بن جُزّي الكلبي الغرناطي :

١ — انظر المخصص ، السفر الثامن ، ص ٤٠ .

٢ — المخصص ، السفر الثامن ص ١٤٨ .

« مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال واستدراك ما فاته من المقال » فهو اذن انتقاء من كتاب آخر سبقه ، وتهذيب له واطافة عليه واسمه : « كتاب الاحتفال في استيفاء تصنيف ما للخيل من الأحوال » ، ألفه أبو عبدالله محمد بن رضوان بن أرقم الوادي آشي ... جمعه لأبي عبدالله محمد الغالب بالله بن يوسف (٦٣٥ - ٦٧١ هـ) ، مؤسس دولة بني الأحمر النصرية^(١) .

وقد فصل المصنف في هذا الكتاب ألوان الخيل وبيّن الشيات والأوضاع والقرّر والتحجيل والدوائر ، وما يستحب من ذلك وما يكره ، مستشهداً بأقوال الرواة وعلماء اللغة والشعراء .

يتحدث ابن جُزّي في باب الألوان ، عن ماهية اللون فيقول : قال المؤلف (يعني ابن أرقم الوادي آشي) ، رحمه الله ، اللون هيئة كالسواد والبياض وما يتركب بينهما ، والجمع : الألوان ... « وبعد أن يورد حديث المؤلف ، يعلق عليه قائلاً : قلت : « الألوان ، وإن كثرت أصنافها وتعددت أنواعها ، ترجع إلى قسمين : القسم الأول : الألوان الأصلية ، والقسم الثاني : الألوان الفرعية ، المركب بعضها من بعض »^(٢)

وفي رأي ابن جُزّي ، أن الألوان الأصلية خمسة وهي : البياض والسواد والحمرة والصفرة ، والخضرة . وأما الألوان الفرعية المركب بعضها مع بعض ، فهي ما عدا ذلك . ونلاحظ تسميات جديدة لألوان مركبة ، لم نعهدها في المصنفات السابقة ، فهناك : اللون الزببي ، والنارنجي الخ حيث يقول : « الأزرق مثلاً فانه مركب ما بين السواد والبياض ، وكاللون الزببي ، فانه مركب ما بين السواد والحمرة ، وكالنارنجي ، فانه مركب ما بين الحمرة والصفرة إلى غير ذلك ... »^(٣)

ثم يتحدث عن الألفاظ التي تعني استحكام الألوان الأصلية وتمكنها ، فيقول : أبيض ساطع ، وأسود حالك ، وأحمر قانيء ، وأصفر فاقع ، وأخضر ناضر ، وأن هذه الألفاظ تابعة للألوان الأصلية دون الألوان الفرعية .

١ — عبدالله بن محمد بن جُزّي الكلبي الغرناطي ، كتاب الخيل ، مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال ، ص ١١ .

٢ — ابن جزي ، كتاب الخيل ، ص ٤٩ .

٣ — ابن جزي ، كتاب الخيل ، ص ٤٩ .

ثم يتابع الحديث عن « أفضل الألوان كلها وأشرفها » ، فيذكر لون الخضرة ، في غير الخيل ، وأما في الخيل فيتحدث عن الشقر ، والكُميت ، والكميت الأحمر والدُّهم ، ثم يستطرد المؤلف في الحديث عن الألوان إلى أن يقول :

« فهذه نبذة كافية من بديع ما قيل في وصف تلك الألوان الثلاثة المعتمدة ، ولو تتبعنا ما على حفظي مما قيل في ذلك ، لطال القول وخرج بنا عن القصد ... (١) ثم يعود المؤلف إلى موضوعه فيقول : فنعود إلى ما قصدنا من تفصيل ألوان الخيل ونعوتها وتمهيد أقسامها العشرة المترجمة وفروعها باباً باباً ولوناً لوناً .. فيبدأ بباب الشقرة ، فيذكر الأشقر والحلوقي والمُدَمَى والأدَبَس والأَمْعَر والأَفْضَح والأَصْبَح والأَقْهَب .

ثم ينتقل إلى باب الدُّهْمَة ، فيذكر الأدهم والجون والاحم والأكهب والأحوى والأصبح من الدهم ، والغَيْهِيّ والدَّجُوجِيّ .

ثم ينتقل إلى باب الكُئِمَة ، فيذكر الكميت ، والأحم من الكُميت ، والأحوى ، والاصحم والمُدَمَى من الكُميت والمُدْهَب والكميت الأحمر والمُحْلَف ، والكميت الأكلف ، والكميت الأصدأ .

ثم ينتقل إلى « باب الوُرْدَة » فيتحدث عن : الوُرْد ، والمُصَامِص ، والوُرْد الأسود والأغْبِس (وهو الذي تسميه الأعاجم السَّمْنَد) وقيل الغُبْسَة : بياض فيه كُدْرَة كلون الذئب ، والغُثْرَة في الألوان شبيهة بالغُبْسَة يخالطها حُمْرَة ويقال لهذا الأغْبِس من الدواب الأدم ، قالوا : والغبسة مثل الدُّلْمَة ، وقيل في الأدم إنَّه الأسود .

ثم ينتقل إلى باب الحُضْرَة وما شاكلها . فيتحدث عن الحُضْرَة أنها لون الأخضر من الزرع والعشب وغيره ، والخضرة هي السواد في قول بعضهم ، ثم يتحدث عن الأخضر الدَّيْرَج (وقد تسميه العرب الأدغم أيضاً) وكذلك عن الأحمر من الخيل الحُضْر ، والأحوى من الحُضْر والاصحم من الخيل ، والاطحل من الخيل ، والأورق من الخيل ، والأطخم من الخيل ، والدَّيْرَج من نعوت الحُضْر وهو فارسي معرب ، والأربد من الخيل ، والأخضب ، والأرمد والطلسة .

١ — انظر المصدر السابق ص ٤٩ — ٥٦ .

ثم ينتقل إلى باب الشُّهبة ويتحدث عن الحديدِي ، والخَلَجوني ، والاشهَب الأحم بسواد ، والأشهب الأحم بحمرة ، والأشهب الكافوري ، والأشهب الواضح ، والأضحى من الخيل ، والقرطاسي ، والأكحل ، والأشهب السوسي ، والأشهب المُجزَّع ، والأشهب المغلَّس ، والأشهب المُدَثَّر ، والأشهب الملمَّع ، والأشمط ، والأشهب المُخْلِيس ، والأشهب الخليس .

ثم ينتقل إلى باب « الصُّفرة » فيتحدث عن الأصفر من الخيل وهو الذي يسمى بالفارسية رزده ، وعن الأصفر الخالص ، والهَرَوِي ، والأصفر الأعفر ، والأصفر الفاضح ، والأصفر المُطَرَّف ، والأصفر المُدَثَّر ، والأصفر الصافي .

ثم ينتقل إلى « باب الصُّدأة » فيتحدث عن الصُّدأة في ألوان الخيل ، ويذكر الأصبغ من الخيل ، والأجأى من الجُووة ، والأهدأ من الخيل .

ثم ينتقل إلى « باب الصُّنابية » ، فيتحدث عن الصُّنابي من الخيل ، ويذكر الأدهم الصُّنابي ، والأسفى من الخيل .

ثم ينتقل إلى « باب البَلَق » ، فيذكر : « كَمَيْت أبلق ، وأشقر أبلق ... » وكذلك في سائر الألوان من البَلَق : الأبلق الأدرع والأبلق المطرَّف ، والأبلق المولَّع ، والموقع من البَلَق ، والأبيض المنطَّق ، والأبلق المُجَوَّز ، والمُرَيْش والأغر ، والأرقت ، والأبرش ، والأریش ، والأمنش ، والمدَثَّر ، والأشيم من الخيل ، والأرشم أو المرشوم^(١) .

وبعد ذلك ينتقل المؤلف إلى « باب الشَّيَات والأوضاح والغرر والتحجيل » ويفصل الحديث عن ألوانها^(٢) .

ثم ينهي كلامه بملخضة لهذا الموضوع ، يضعها تحت عنوان : « تلخيص مفيد وتمهيد أكيد »^(٣) . وفي باب الدوائر التي تكون في الخيل ، حيث تحتل ألفاظ الألوان أيضاً مكانة مهمة ، يتحدث المصنف عن أربع عشرة دائرة مسماة في جسد الفرس^(٤) .

١ — في ألوان الخيل : انظر : ابن جزري ص ٤٩ — ٧١ .

٢ — ابن جزري ص ٧١ — ٧٣ .

٣ — المصدر ذاته ص ٧٣ — ٧٦ .

٤ — المصدر السابق ، ص ٧٦ — ٨٢ .

ثم يحتم ابن جزري هذا البحث النفيس بتذييل ، يذكر فيه ما نقله المؤلف ابن أرقم من مسائل عن رجل يقال له « جُلُّ الهندي » ، فيما يُتَيَّمَنُ به أو يُكره من شيات الخيل ودواثرها^(١) .

ونحن نجد أنفسنا في هذا الكتاب اللغوي ، أمام مصنّف مهم في ألفاظ الألوان ، يجمع بين دقة التعريف ، واستقصاء ما سبقه من آراء اللغويين ووضوح الشرح وسهولة الأداء .

ونحن في بحثنا هذا لا نريد أن نتوقف عند ابن منظور في القرن الثامن الهجري في مصنفه المشهور ، « لسان العرب » ، الذي يعتبر من أهم مصادر العربية شمولاً وتوثيقاً ودقة . وعسى أن يفيدنا الحاسوب ووسائل البحث الحديثة ، باستخراج جميع ألفاظ الألوان التي ذكرها .

وإن هذا الاستعراض الشامل للألفاظ الدالة على الألوان في هذه المصادر المهمة من تراثنا اللغوي الخصب ، يقودنا إلى الوقوف عند الرسالة التي نشرها المرحوم محمود شكري الألويسي سنة ١٩٢٤ م ، وقد اشتملت على شرح أرجوزة مختصرة نظمها أحد شراح الهداية الشيخ علي بن العز الحنفي الشهير بالشارح الجارح ، وذلك في تأكيد الألوان^(٢) .

وقد صدر الألويسي ، رحمه الله ، هذا الشرح بمقدمة ذكر فيها ما كان من اختلاف في حقيقة اللون ، وختمه بخاتمة ذكر فيها على حدّ تعبيره ، ما ظفر به في كتب اللغة من الأسماء الموضوعية للألوان المختلفة ، حسبما نطق به العرب العرباء في قديم الزمان .

ويتحدث الشارح عن الأبيات الستة الأولى من الأرجوزة ، بأن الناظم ذكر فيها ، يؤكد اللون الأسود وهي اثنتان وعشرون كلمة وهي :

حالك وأحم ولوني ومحلنكك واحلوك ونوبي ، ومحلوك ويحموم وحلبوب وحنس وحلكوك وغريب وغيبم وفاحم وحنك ومُذْهَم وفاحم ودبجوري وغرابي وحنك الغراب وحلك الغراب . ويشرح الألويسي كلاً منها ويورد الشواهد اللغوية ، ويعتمد اعتماداً

١ — المصدر نفسه ، ص ٨٢ — ٨٥ .

٢ — انظر : مجلة الجمع العلمي العربي ، محمود الألويسي ، مج ١ ، ح ٣ ، آذار سنة ١٩٢١ م ، ج ٤ ، سنة ١٩٢١ .

كلياً على المصادر التي أشرنا إليها دون أن يذكرها في أكثر الأحيان ، واكتفى بإشارات قليلة إلى الأصمعي وأبي عبيدة . ومن الواضح أن الشارح يطلق « تأكيد اللون » على ما يسمى أحياناً بالألوان الفرعية . ففي نهاية حديثه عن تأكيد السواد يقول : « فمجموع هذه الكلمات وهي اثنتان وعشرون كلمة أكد فصحاء العرب بها لون السواد » (١) .

ثم يأتي على شرح الأبيات التي يؤكد بها الناظم اللون الأحمر ، فيقول الشارح : وهي سبع عشرة كلمة : قانٍ وقانيء ، وبحراني والغضب وذريخي وأرجواني وأسلغ وسلغة والقرف والماتع والباحري النَّكيع ، والناصع والنصيع والتَّصاع والفقاعي والزاهر . ويقف الشارح عند كل كلمة من هذه الكلمات الدالة على تأكيد اللون الأحمر ويشرحها وفق المنهج الذي أشرنا إليه .

ثم يأتي على قول الناظم في تأكيد اللون الأخضر وهي ثلاث كلمات : مدهام وناضر وحانيء . ثم يشرحها ويورد الشواهد اللغوية ويحدد دلالاتها ويستدرك على الناظم كلمة « باقل » حيث يقول الشارح : « وباقل لم يذكره الناظم وهو مما يستدرك به عليه ، يقال : أبقل الرمث إذا أدبى ، وظهرت خضرة ورقه فهو باقل ولم يقولوا مُبقل ، كما قالوا : أورس فهو وارس ولم يقولوا مورس وهو من النوادر ، لكن الناظم أهمل باقلاً لعدم شهرة التأكيد بها » (٢) .

ثم يأتي الشارح على قول الناظم في تأكيد اللون الأبيض وهو ثمانية منها : ملاح ولياح ، ودمرغ ، والفقاعي ، والصَّراح والصَّرَح ، ويقَقِّ واللَّهَقِّ وناصع . ويشرح هذه الألفاظ وفق منهجه السابق ، ويعتبر الصَّرَح والصَّرَاح تأكيداً واحداً ويقف عند لفظة الفقاعي وقفة مطولة ثم يقول : فتبين من ذلك كله أن الفقاعي يصح أن يكون تأكيداً للأنواع الثلاثة : الأحمر والأبيض والأصفر (٣) .

ثم يأتي الشارح على قول الناظم في تأكيد اللون الأصفر ، فيذكر :

الوارس ، والفقاعي والفاقع . ويعتمد الباحث في شرحه على ما أورده الصحاح والكشاف ولسان العرب . وغيرها من المصادر اللغوية .

١ - الألويسي ، مجلة المجمع العلمي العربي ، ج ١ ، ج ٣ ، سنة ١٩٢١ ، ص ٨١ .

٢ - المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١١١ .

٣ - المصدر ذاته ، ص ١١٣ .

ثم يقف الشارح عند سرد صاحب الأرجوزة مؤكداً لا تختص بلون واحد ، وذلك كجريان ونصيع وعاتك وناصر وفاقع وجربال . فكل هذه الألفاظ يصلح أن تكون تأكيداً لجميع الألوان .

ويتابع الشارح عرض آراء اللغويين حول كل كلمة من هذه الكلمات التي تستعمل تأكيداً لكل لون من الألوان . ويورد النصوص اللغوية والشواهد الشعرية . وختم الشارح هذه الرسالة المهمة بذكر بعض الألفاظ الموضوعية للألوان . فأشار إلى ألوان الخيل والشيات في كتاب فقه اللغة للثعالبي ، ولخص ما أورده ابن سيده ، مما له علاقة بالألوان (١) .

لا شك في أن هذه الدراسة المتواضعة تقودنا إلى القول بأن العربية منذ نشأتها الأولى وعبر تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، من أكثر اللغات قدرة على التعبير عن الألوان وظلالها بل وما أسمته بالألوان الفرعية أو الألفاظ الدالة على الأشباع والتأكيد في الألوان .

وإذا تساءلنا أمام هذه الأعداد الكبيرة من الألفاظ الدالة على تأكيد اللون ، أو كما يسميها بعضهم الألفاظ الدالة على الألوان الفرعية ، عما إذا كانت بعض هذه الألفاظ لا تخرج عن كونها لغات لقبائل مختلفة ، وبالتالي فهي مترادفات لمدلول واحد ، أم أن لكل منها مدلولاً لونياً خاصاً بها ، وبالتالي فإن كل لفظة تعبر عن دقائق من المعاني لا تعبر عنها اللفظة الأخرى ، لأنها تعبر عن دقائق من اللون تميزه عن الألوان الأخرى ، لأنه لا ترادف في اللغة ، ولو سلمنا جدلاً بأن هنالك ترادفاً ، نجم عن وجود لغات لقبائل مختلفة ، أليس من المنطق في جميع الأقوال أن ننظر إلى هذه الثروة اللغوية الهائلة ، باعتبارها مصدراً يمدنا بالامكانيات الواسعة للتعبير عن معانٍ مستحدثة ، عن طريق النقل ، سواء أكان ذلك في مجال الألوان أم في غيرها من المعاني ، ولا سيما ونحن نجد أنفسنا في العصر الحديث أمام صناعات لا حد لها ومنها صناعة الألوان ؟

فقد درجت اللغات الأجنبية الأكثر شيوعاً في العصر الحديث على تسمية مختلف الألوان بالوصف أو بالأرقام ، سواء أكان ذلك في تراكيب أم في جمل قد تطول أو تقصر ،

١ ... انظر الأوسبي ، مجلة المجمع العلمي العربي ، ج ١ ص ٤ سنة ١٩٢١ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، بينما نجد العربية تعبر عنها في غالب الأحيان بلفظ واحد . ولا شك في أن التعبير بلفظة واحدة أفضل من التعبير بعدة ألفاظ .

ففي العربية نقول : أبرش (وهو المنقط بألوان مختلفة) .

وفي الإنجليزية : Shade of White spots of other colours .

وفي الفرنسية : Nuance' de taches blanches ou autres .

وفي العربية نقول : البَهَار (البياض في لبان الفرس وصدره) .

وفي الإنجليزية : Whiteness of the brest (of horse) .

وفي الفرنسية : Blancheur du Poitrail d'un cheval .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولا يقتصر الأمر على ألوان الخيل .

ومهما يكن من أمر : الا يتوافر لدينا من الألفاظ العربية الواضحة الدلالة في موضوع الألوان ، ما يمكن أن يكون مصدراً خصباً ، يمُدُّ لغتنا الحديثة بالحوية والثماء والقدرة على استيعاب كل ما يجد في عالم الألوان ؟ وان أهم ما يميز هذه المصطلحات ، مطاوعتها للاشتقاق ، سواء أكان ذلك بالسماع أم بالقياس على إطلاقه .

نحن نعلم أن العربية قد تفاعلت مع لغات الأمم التي امتزجت بها أو تلك التي كانت على تماس معها . فتأثرت بتلك اللغات بكل ما يتعلق بأدب الحواس أي بالمدلولات المادية . فقد تأثرت العربية بلغات الأمم الأخرى في مجال آداب الشم والسمع والذوق والبصر واللمس ، في حين أن العربية قد أثرت في لغات الأمم الأجنبية ، في كل ما يتعلق بأدب النفس والروح .

وهذا يعني أن العربية غنية في التعبير عن دقائق المعاني النفسية والروحية ، وكل ما يتصل بالمعاني والصور التي يبدعها الخيال .

هذا وإنَّ النظرة الشاملة إلى موضوع ألفاظ الألوان في العربية ، منذ بيئاتها الأولى ، المغرقة في القدم ، وعبر تطورها في مدارج بيئاتها الحضارية ، تقودنا إلى الوقوف عند ظاهرة لغوية وحضارية ، ربما تتميز بها العربية من بين اللغات الأجنبية قديماً وحديثاً . وهذه الظاهرة تتمثل بدقة التعبير عن تداخل الألوان الأصلية وتمازجها ، وما ينشأ من تموجات دقيقة في

مدلولاتها وطبيعة وجودها . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى تبرز أماننا هذه المبادرة للتأليف المبكر لمعجم لغوي يختص بموضوع الألوان ، حيث جمعت فيه الألفاظ الدالة على الألوان المختلفة وشرحت معانيها من خلال النصوص اللغوية والشواهد الشعرية المختارة للشعراء المشهود لهم بالفصاحة والبلاغة . والشاهد على ذلك : كتاب « الملمع » لأبي عبد الله الحسين بن علي الثمري المتوفى سنة ٣٨٥ هـ . وقد لا نغالي اذا قلنا ، ان هذا الكتاب على صغر حجمه ، كان محاولة متميزة ، وربما كانت الأولى من نوعها ، من حيث المنهج ، في وضع كتاب خاص بألفاظ الألوان ، نهج المصنف فيه منهجاً علمياً يستحق الدراسة والتأمل ، فجعل من الشواهد والنصوص التي اختارها وسيلة لتحديد معاني هذه الألفاظ التي تدور حول محور الألوان .

وخلاصة القول ، إنَّ العربية غنية بالألفاظ الدالة على الألوان ، وأنه لم يعد أماننا سوى خطوة نخطوها من أجل وضع معجم عربي أصيل ومتكامل للألوان مع التحديد والشرح ، ليساير حضارة العصر ويستوعب كل ما هو جديد .

والحمد لله ربّ العالمين وهو الهادي إلى الصواب ،،،

ملحق

فربما كان من المفيد أن نسجل الألوان وتأكيداتها التي أشار إليها أبو عبيدة في كتابه الخيل ، وهي على النحو التالي :

١ — الدهمة :

أ — أدهم غَيْهَب

ب — أدهم دَجُوجِي

ج — أدهم أَكْهَب .

٢ — الخُضْرَة :

أ — أخضر أَحْمُ

ب — أخضر أَوْرُق

ج — أخضر أَطْحَل

د — أخضر أَدْغَم

هـ — أخضر أَطْخَم

٣ — الحُوَّة :

أ — أحوى أَحْم

ب — أحوى أَصْبَح

ج — أحوى أَطْحَل

د — أحوى أَكْهَب

٤ — الكُمَّتَة :

أ — كَمِيت أَحْم

ب — كَمِيت أَطْخَم

ج — كَمِيت مَدْمَى

د — كَمِيت أَحْمَر

هـ — كَمِيت أَكْلَف

٥ - الصُّفْرَة :

أ - أصفر أعفر

ب - أصفر فاقع

ج - أصفر ناصع

٦ - الوُرْدَة :

أ - وُرد خالص

ب - وُرد مصامص

ج - وُرد أغبس

٧ - الشُّقْرَة :

أ - أشقر أدبس

ب - أشقر ، مدمى

ج - أشقر أقهب

د - أشقر أسفر

هـ - أشقر أفضح

٨ - الشُّهْبَة :

٩ - الأبرش

١٠ - المدتر

١١ - الملمّع وهو الأشيم

١٢ - المولّع

الشيّة في الفرس :

١ - العُرر

أ - لطم

ب - شادفة

ج - سائلة

د — شمراخ

هـ — منقطعة

و — شهباء

ي — مُعْرَب

٢ — القُرْحَة

أ — خَفِيَّة

ب — شهباء

٣ — الرَّثْمُ وتنسب الى :

أ — الشدوخ

ب — الاعتدال

ج — الاستدارة

د — الخُفِيَّة

٤ — الِيعْسُوب

٥ — اللَّمْظَة

أ — أَسْف

ب — أَصْبَح

ج — الْمُعَمَّم

وشية القوائم منها :

أ — التَّحْجِيل

ب — الرَّجْلُ

ج — والشَّكْل

د — مُنْسَك

هـ — أَغْصَم

تسمية وضع القوائم :

أ - الخاتم

ب - الامغال

ج - التخريم

د - التجيب

هـ - المسرول

و - الأخرج

ز - التسريح

ح - الصبغ

وشية الذنب :

أ - أشعلُ

ب - أصبغ

ج - أنبط

د - أبلق ، ويقال :

١ - أبلق أدرع

٢ - أبلق مولع

٣ - أبلق مطرف

المصادر والمراجع

- ١ — ابن الأعرابي/ كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها (رواية ابي منصور الجواليقي) ، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ، والدكتور حاتم صالح الضامن ، بغداد .
- ٢ — الاسكافي ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي ، كتاب مبادي اللغة مع شرح أبيات مبادي اللغة ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٢٥ هـ .
- ٣ — بينوس الحكيم/ سرّ الخليقة وصنعة الطبيعة — كتاب العلل ، تحقيق اورسولا واير ، حلب ، ١٩٧٩ م .
- ٤ — ثابت ، أبو محمد ثابت بن أبي ثابت ، كتاب خلق الانسان ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٦٥ م .
- ٥ — الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق سليمان سليم البواب ، دمشق ، ١٩٨٤ م — ١٤٠٤ هـ .
- ٦ — ابن جزري ، عبدالله بن محمد بن محمد بن جزري الكلبي الغرناطي ، كتاب الخيل (مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال) ، تحقيق محمد العربي الخطّابي ، بيروت ، سنة ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .
- ٧ — ابن سيده ، أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيده ، المخصّص ، مج ٥ ، ج ١ — ٧ ، بيروت .
- ٨ — معمر ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، تيم قريش ، كتاب الخيل (رواية ابي حاتم سهل بن محمد السجستاني ، رواية أبي يوسف الأصبهاني عنه) ، الطبعة الأولى ، حيدر اباد الدكن (الهندي) ، ١٣٥٨ هـ .
- ٩ — ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابن القاسم ابن حبه بن منظور ، لسان العرب ، ج ١ — ٦ ، دار المعارف ، القاهرة .
- ١٠ — النّمري ، أبو عبدالله الحسين بن علي النّمري ، كتاب الملمّع ، تحقيق وجيهة السطل ، دمشق ، ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

١١ — مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الأول ، الجزء الثالث والجزء الرابع ،
سنة ١٩٢١ م ، رسالة في الألوان ، محمود شكري الألوسي .

١٢ — مجلة اللسان العربي ، المجلد العاشر ، الجزء الثالث ، الرباط ، معجم الألوان ، عبد
العزیز بن عبدالله .